1-أشكال التمرد في شعر أحمد مطر:

لقد تنوعت أشكال التمرد عند "أحمد مطر" باعتباره شاعرا متمردا على كل ما يقيد حرية الإنسان عموما، والفرد العربي خصوصا، وحتى نتبين معنى التمرد لديه فقد حاولنا دراسة ثلاثة أشكال من التمرد عنده هي:

1-1-التمرد السياسي:

يقال إن الشعر مرادف الحرية والتحرر، ولقد تميزت الفترة الممتدة من السبعينات إلى الثمانينات بقوة توجه الشعر التحرري، ولا سيما في تلك البلدان التي تجرعت مرارة الظلم والقهر سواء كان هذا الظلم ظلم المستعمر أو جبروت القادة والحكام، وهي الفترة ذاتها التي علا فيها صوت شاعر عربي جريء يدعى الشاعر "أحمد مطر" الذي كرَّس شعره وقلمه وقلبه الخافق بدماء التحدي ليوقظ الشعر ويجدد طاقته، ويتخذ منه وسيلة لجلد السلاطين من والحكام والثورة في وجوههم، فالسلاطين بكل ما يمثلونه من جمود وبطش كانوا هدفا من أهداف ثورة التمرد، فكلما لَجُّوا في عبثيتهم وانكفائهم، انبرى لهم شعر التمرد يفضح دورهم الخائن، ويُدين سلوكهم المُلْتَاثْ، ويجيش مشاعر الجماهير في اتجاه الانقضاض عليهم.

ولم يخل ديوان الشاعر "أحمد مطر" من مثل هذه المفاهيم فها هو ذا يعيب على الحكام العرب خذلانهم لأوطانهم، وتخليهم عن فدائها، إلا بتلك الخطب المشحونة التي يلقونها وهم في بيوتهم كما يظهر في قصيدته " شطرنج" التي يقول فيها:

منذ ثلاثين سنةْ،

لم نر أيَّ بَيْدَقٍ

في رقعة الشطرنج

يفدي وطنهْ،

وتَطِنَّ طلقة واحدةٌ

وسط حروف الطَّنْطَنَة

والكلُّ خاضَ حربَهُ

بخطبةٍ ذُرِيةٍ،

ولم يغادر مسكنهْ

1-2- التمرد الاجتماعي:

إن القيم الاجتماعية هي حصيلة تجارب الأمم وثقافتها وتقاليدها، وقد تصل في قداستها إلى حد اعتبارها كالقيم الدينية التي لا يمكن الاستهانة بها أو التنازل عنها، حتى ولو كانت هذه القيم حاجزا دون حرية الأفراد الذين يعيشون في هذا المجتمع، ولكن مهما بلغت هذه القيم من القداسة والتبجيل، فهناك دوما أشخاص يختارون درب التمرد والخروج عنها تَبَرُّمًا بها أو استخفافا بأهميتها، وهو ما يظهر في التمرد الاجتماعي خاصة عند الشعراء ذوي الحس المرهف، والانحياز المفرط للحرية، ولعل "أحمد مطر" من هؤلاء الشعراء الذين اختاروا درب التمرد على القيم البالية والموروثة منذ العصور القديمة، وراح ينتقدها ولا نقصد بالانتقاد ذلك العناد الدائم بين الأديب ومحيطه الذي يرفضه فحسب بل اكتسى هيئة كاريكاتورية خالصة، فكثيرا ما تحس وأنت تُنهي قراءة القصيدة بالرغبة في الضحك من قلبك من الواقع الذي تعيشه وكيف صوره الشاعر ودقَّق تصويره.

ولعل من أهم القضايا التي عالجها "أحمد مطر" قضية تفرُّق هذه الأمة العربية وتَشَرذُمِهَا حتى صدق فيها المثل القائل " اتفق العرب على ألا يتفقوا " فهم مختلفون حتى في القضايا التافهة التي لا تحتاج لكثير نقاش فما بالك بالقضايا الكبرى التي طالما أدت إلى التناحر والحروب الدامية، وهذا ما يظهر في قصيدته " حصافة " التي يصف فيها حال الأمة التي تفرَّقت كلمتها حتى في تسمية الحذاء التافه، والذي دخلت بسببه في أزمة مصطلح فيقول:

حين رآني

مهموما، مُنكسر الهِمَّهْ

قال حذائي

هل مازلت تُؤَملُ حقا

أن توقظ ميتا بالنَّأْمهْ ؟

أو أن تُشعِلَ ماء البحرِ

بضوءِ النَّجمهْ ؟

لا جدوى...

خُذ مني الحكمهْ

فأنا منذ وُجدتُ، حذاءٌ

ثم دعاني البعض مَدَاسًا

ثم تَقَطَّعتُ بلا رحمه...

فإذا باسمي...

جُوتِي، سَبَّاطٌ، جَزْمَهْ

نَعْلٌ، كَنْدَرَةٌ، مَرْكُوبٌ

خُفٌ، يَمَنِ ي، حَاطٌ

بُوتِينٌ، بَابُوجٌ، صُرْمَهْ

والى آخر هذي الزَّحمهْ

أيُّ حوارٍ ؟

أيُّ خُوارٍ ؟

أيُّ حَضِيضٍ ؟

أيَّةُ قِمَّهْ ؟

إن كُنتُ أنا التافهُ وحدي

أدخلتُ الأمَّةَ في أزمهْ

وعليَّ تفرَّقت الكِلْمهْ

فعلى أي قضايا كبرى

يمكن أن تتفق الأمهْ ؟

لقد حاول "أحمد مطر" كشاعر وأديب تعرية واقع مجتمعه، وايجاد الحلول لمختلف قضاياه، والدعوة للحرية والتمرد على الظلم والطغيان، فهو أديب يتأثر بما يحيط به ويحاول التفاعل معه، والأديب كأي إنسان آخر يمتلك المشاعر والأحاسيس التي تتأثر بسرعة وفاعلية بالمشكلات الحياتية الكثيرة التي يعانيها الإنسان المعاصر، سواء أكانت هذه المشكلات أو القضايا وليدة البيئة والمحيط الذي يعيش فيه، أم كانت وليدة العذاب الإنساني العام الذي يحسه الناس جميعا.

1-3- التمرد اللغوي:

إن التمرد على اللغة لا يكون إلا باللغة نفسها، ومن هنا يتساقط وهم أن الشعر حين يتمرد على اللغة إنما يهدم هذه اللغة، ويبقى أن تمرد الشعر على اللغة يعني نقل هذه اللغة من طور التحجر والجمود إلى طور المطاوعة والتطور، ورفض أن تظل طاقاتها الهائلة مأسورة في قوالب، ومعطلة عن ابتداع قوالب جديدة.

وانطلاقا من هذا المفهوم نجد أن "أحمد مطر" قد حاول التمرد على اللغة القديمة المتحجرة

ليس تبرُّما بها، وانما محاولة منه أن يمنحها قوالب جديدة تتماشى مع روح العصر الذي

يعيش فيه فهو يرى أن اللغة ليست طقوسا مقدسة يحرم هزُّها وتغيير ملامحها... فهي مطالبة بأن تواكب ركض الحياة، وأن تعبر عن مضامينها الجديدة بصيغ جديدة مُوائمَة،

حتى لا تتخلف في رحلة التعبير عن ذات إنسانها المعاصر الذي يقف على مفترق الطرق بأشواقه الجديدة، وتجاربه الجديدة، وهمومه الجديدة، باحثا عن اللغة الجديدة التي تستطيع أن تعكس أشواقه وتجاربه وهمومه، بعيدا عن القوالب الميتة، والصيغ المحنَّطة، والألفاظ التي فقدت قيمتها الإيحائية من طول ما تداولتها العصور، ولهذا نجده في كثير من قصائده يستخدم ألفاظا وعبارات جديدة، تدل على تمرده على كل ما كان يُجتَر من اللغة ففي قصيدته " مكابرة" يتلاعب بالألفاظ والمعاني، قائلا:

أُضَمدُ جرحي بحشدِ الخناجر

وأمسح دمعي بكَفَّيْ دمائي

وأوقدُ شمعي بنارِ انْطِفَائي

وأَحْدُوا بصَمتي مئات الحناجرْ

أُحاصرُ غابَ الغيابِ المُحاصِرْ

ألا يا غيابي

أنا فيكَ حاضر!

أكابرُ ؟

كلاَّ ... أنا الكبرياءْ!

أنا توأم الشمس

أغدو وأمسي

بغير انتهاء!

ولي ضِفَّتانِ

مساءُ المِداد وصبحُ الدفاترْ

وشعري قناطر!

متى كان للصُبح والليل آخرْ؟

فالظاهر أن هذه القصيدة كلها مبنية على اللغة الاستعارية التي تحمل المفارقة التي تشد القارئ وتدهشه، فالكبرياء والتحدي يصل بالشاعر لأن يُضَمد جراحه بالسكاكين، وللدماء كف تمسح الدموع ...إلخ، هذا التناقض الذي يكشف مقدار الألم الداخلي الذي يعانيه الشاعر، التناقض بين ما يحلم به الشاعر، وبين الواقع الذي يعيشه، ما جعل نفسه تتناقض مع نفسه.

ومما يشيع عند أحمد مطر كذلك استخدامه للغة العادية المألوفة غير المتكلَّفة حتى يسهُل غلى الناس فهمها، كونه يخاطب جميع شرائح المجتمع، فهو يريد أن يوصل صوته حتى لأبسط الناس تحقيقا لمقصده، وهو توعية الشعب وتنويره ودفعه للتمرد على القهر والظلم، وهو ما يظهر في قوله في قصيدة " شطرنج"

منذ ثلاثين سنهْ،

لم نر أيَّ بَيْدَقٍ

في رقعةِ الشطرنجِ

يفدي وطنهْ،

ولم تَطِنَّ طلقةٌ واحدةٌ

وسْطَ حروف الطَّنْطَنَهْ

فالملاحَظ في هذه القصيدة أن كل ألفاظها عادية مألوفة، يتسنى فهمها للجميع لكن الشاعر يُضَمنُها معانٍ كبيرة، ويمنحها روحا قد لا نجدها حتى في الألفاظ القوية.

د/ حسينة ساكر